معاجم مصطلح الحديث النبوي

نشأتها ومناهج تصنيفها

(٢/٢)

ناقشنا في العدد الماضي نشأة التأليف في مصطلح الحديث النبوي الشريف، وأشكال العناية به من خلال تأليف الكتب الكبيرة لأصحابها النيسابوري وابن الصلاح وغيرهم، بالإضافة إلى تسليط الضوء على المختصرات في علوم الحديث. ونتابع في هذا العدد مناقشة اعتبارات تأصيل علم مصطلح الحديث، وما مدى اهتمام معاجم المصطلحات العامة بالحديث.


د. خالد فهمي - مصر

لقد أصّلنا قائمة مختصرات علم مصطلح الحديث لاعتبارات عدة منها:

١-بيان تواتر العناية بشرح مصطلحات هذا العلم الشريف زمانا، لأن الحديث الأصل الثاني الأكبر من أصول الشريعة بعد كتاب الله العزيز.

٢- بيان تواتر العناية بشرح مصطلحات هذا العلم على امتداد الجغرافية الإسلامية شرقا وغربا وشمالا وجنوبا.

٣- بيان أن هذه المختصرات مع عنايتها الفائقة بتعريف المصطلحات الحديثية خرجت عن أن تكون معاجم مختصة بمصطلحات هذا العلم، لرعايتها مبادئ الترجيح، والتدليل، وغرس مسائل العلم وإن باختصار، مع غياب كثير جدا من المعلومات اللازم توافرها في الأعمال المعجمية.

المنظومات في مصطلحات الحديث

كما شاع كذلك العناية بتعريف المصطلحات الحديثية في نوع آخر من أنواع التصنيف في علوم الحديث وهو نوع المنظومات التي ظهرت لأغراض تعليمية تعين على استظهار المعلومات.

ومن أشهرها في تاريخ التصنيف عند المسلمين:

١- المنظومة البيقونية في مصطلح الحديث.

٢- ألفية السيوطي في مصطلح الحديث.

ومثلما ظهرت العناية بتعريف المصطلحات في المؤلفات المنثورة وما يقترب بهذه المؤلفات لاسيما في قسميها الأخيرين (المختصرات والمنظومات) من اعتبارها معاجم للمصطلحات الحديثية مع التجوز والتوسع، السمات التالية:

١- الاختصار والاكتفاء في الغالب بتعريف المصطلحات، والبدء به في المقام الأول، وإن ورد بجوارها معلومات أخرى حول المسائل.

> **عناية المسلمين قديماً وحديثاً بضبط مصطلحية علم الحديث في أشكال متنوعة تدل على قيمة هذا العلم وخطر التهوين منه**

- كما مر بنا - ظهرت كذلك في المنظومات، تيسيرا لحفظها، يقول السيوطي (بيت ١٠٩، ص ٣٥) في تعريف الضعيف:

هو الذي عن صفة الحسن خلا
وهو على مراتب قد جعلا

ويقول البيقوني في تعريف المرسل، والغريب ص ٢٧، ص٢٩

ومرسل منه الصحابي سقط
وقل غريب ما روى راو فقط.

٢- ظهور لفظ «مصطلح، واصطلاح» ومشتقات أخرى من جذرهما في عنوان كثير من هذه المصنفات.

٣- دوام العناية بالمعنى الاصطلاحي للألفاظ العلمية في مداخل الأبواب في هذه الكتب مما يعكس وعيا بقيمة بيان المعاني.

٤- قلة المعلومات عن الموضوعات الحديثية والمسائل الفنية الموزعة على علوم الحديث المختلفة، إذا ما قورنت بحجم العناية بشرح معاني المصطلحات.

في معاجم المصطلحات العامة

عرف التصنيف المعجمي عند المسلمين فرعا مهما جدا من المعاجم المختصة، تفرغت لجمع مصطلحات العلوم المختلفة وتبويبها هجائيا أو علميا او موضوعيا، وشرح معاني هذه المصطلحات.

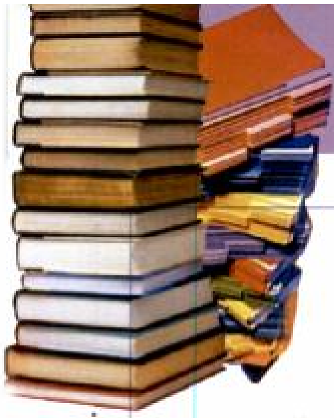
ويهمنا هنا أن نقرر أن ثمة معجما تراثيا صنع بابا هو الباب الثاني لمصطلحات الحديث النبوي الشريف، وهو «معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم» المنسوب خطأ للسيوطي.

وهو صورة مصغرة مختصرة للمعجم بمعناه الاصطلاحي وقد أورد ما يقرب من سبعين مصطلحا وعرفها من غير أي تطرق لمسائل علمية، أو موضوعات.

المعاجم الاصطلاحية

وقد امتدت العناية بمصطلحات

● أستاذ اللغة العربية في جامعة المنوفية



الحديث في المعجمية العربية التراثية المختصة فطالت المعاجم الاصطلاحية العامة المرتبة هجائيا كما نرى في التعريفات للجرجاني وابن كمال باشا وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ودستور العلماء لأحمد نكري.

معاجم المصطلحات الحديثية في العصر الحديث

وكان لتنامي الإدراك لقيمة المعاجم المختصة، وتوسع دائرة التصنيف فيها في العصر الحديث - أثر في ظهور معاجم مستقلة للعناية بمصطلحات علم الحديث النبوي.

وأشهر هذه المعاجم - مرتبة وفق تاريخ صدورها - هو:

١- قاموس مصطلحات الحديث النبوي الشريف، لمحمد صديق المنشاوي، وتقديم د. محمود عبدالرحمن عبدالمنعم، دار الفضيلة، القاهرة سنة ١٩٩٦م

٢- معجم المصطلحات الحديثية، د. محمود طحان ود.عبدالرازق خليفة الشايجي ود. نهاد عبدالحليم عبيد، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية الكويت ع ٣٦ شعبان ١٤١٩هـ ديسمبر ١٩٩٨م (ص ٩٥-١٧٤)

٣- معجم مصطلحات الحديث ولطائف الأسانيد، د. محمد ضياء الرحم الأعظمي، أضواء السلف، الرياض سنة ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

٤- معجم مصطلح الحديث النبوي، لمجمع اللغة العربية، بالقاهرة سنة ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م.

وهذه الأربعة نصت في عنوناتها على انتمائها المعرفي إلى المعاجم، وهي جميعا استثمرت المعرفة المعجمية التي ترى في المنهج الهجائي الالفبائي أيسر المناهج، فرتبت المصطلحات على وفاق الترتيب الألفبائي حسب منطوق الكلمة أو شكلها المستعمل، من غير رد إلى الجذور، إنعاما في التيسير على مستعملي هذه المعجمات.

وبعض منها استعمل تقنيات طباعية (١.٢ على التعيين) من الدلالية الأساسية المكونة لمفهوم المصطلح، من مثل القول في تعريف الرواية في (قاموس (١)...) ص ٦١ «الرواية: حمل الحديث ونقله وإسناده على من عزي إليه».

ويضيف (معجم المصطلحات الحديثية (٢)... بعد ما مضى: «بصيغة من صيغ الأداء».



مثل كتابة المصطلح ببنط قاتم أغلظ من بنط الشروح، تيسيرا على المستعملين.

وبعضها استعمل الإحالات المعجمية تحقيقا لتماسك المعجم، ولتنبيه المستعمل على ضرورة مراجعة بعض المصطلحات عند طلب معنى بعض آخر لتعلقهما وارتباطهما دلاليا، كما في (رقم ٤) كما اعتنت هذه الأربعة بمبدأ توثيق المصطلحات وتعريفاتها بطرق توثيقية مختلفة.

وقد حرصت هذه المعجمات الأربعة في الغالب على استعمال طريقة التعريف بالمحكم في شروحها للمصطلحات، وهي طريقة تذهب إلى جمع السمات

وقد تقاربت المجموعة في العناية ببعض المعلومات الصرفية واللغوية التي تعين على توضيح المعاني الاصطلاحية، مع العناية في بعضها بالنطق، أو بضبط بنية المصطلحات.

وإن وقع بعضها في عيوب كثيرة منها ما يسمى بعيب التعريف بالدور وهو شرح مصطلح بالإحالة إلى غيره فإذا ذهبت إليه ردك على الأول من مثل:

ص٣٧ «التجويد ويسمى التسوية»

ص٤٢ «التسوية ويسمى التجويد»!

على أن اخطر شئ في هذه الأربعة هو إخلالها بعدد كبير من المصطلحات الحديثية، بسبب من نقص في استقراء مادتها وإهمالها في الإفادة من المصطلحات الحديثية التي وردت في معاجم المصطلحات العامة التي تحدثنا عنها هنا في الفقرة (ثانيا)

ومما أخلت به هذه المعاجم من مصطلحات ما يلي:

(الرسالة، والرسول، والتدوين، والتقرير، التوهم، الرؤية، الشرط، الشك، فعل النبي ﷺ، اللفظ المركب في القضية الملفوظة، والمستند، ولفظه ﷺ، ومشكل الحديث، والمنفصل منه، إلى غير ذلك».

وهذا الإخلال سمة في الأربعة جميعا مع تفاوت في قدر إخلال كل منها.

ولعل هذه المراجعة الموجزة لعناية المسلمين قديما وحديثا بضبط مصطلحية علم حديث النبي ﷺ في أشكال متنوعة دالة على قيمة هذا العلم وخطر التهوين من أمره، لأن السنة - بعد القرآن ومعه - أصل الأصول التي تقوم عليها الشريعة، وينضبط وفقها المنهاج.

وهي تدل كذلك على مدي ما يحتاجه هذا المجال من معاجم أوسع، وأكثر ضبطا وجمعا، وأتقن صناعة، لأن المقام مقام جليل نعين فيه على بيان المقبول من حديث رسول الله ﷺ من المردود.